



الروحانية

مراهب القس /
بنيامين المحرقى
المشرف الروحى للكلية

أخي الإكليركي: " احفظ الوديعة " (١ تي ٦ : ٢٠) (رؤ ٣ : ١١)
" تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك "

مميزات الروحانية الارثوذكسية :-

١- مبنية على الإيمان السليم :-

الإيمان إننا لا نتعرف على الله كنظرية أو كمبدأ مجرد بل كشخص " ذات " ،
فلكى نعرف شخصا يعنى ما هو أكثر من حقائق لهذا الشخص ، فلكى نعرف شخصا
يجب بالضرورة أن نحبه ، فلا يمكن أن يكون هناك وعى حقيقي بأشخاص آخرين
بدون محبة متبادلة ، نحن لا تتوفر لنا أى معرفة أصيلة لأولئك الذين نكهرهم هنا
إذن أقل طريقتين تضليلا فى الحديث عن الله الذي يفوق إدراكنا هو شخص وهو
محبة وهاتان هما بالأساس طريقتان للتعبير عن نفس الشيء أن طريقنا للدخول إلى
سر الله يكون من خلال المحبة الشخصية .

هناك نزعة غريبة وغير صحيحة هي الفصل بين اللاهوت والحياة الروحية ، فنجد
ان علم اللاهوت اقتصر على علم اللاهوت المقارن وتقديم مبررات منطقية للعقائد
المسيحية ، فوصف فلاديمير هذه النزعة بقوله " لقد وضع الروحانيون مقابل اللاهوتيين ،
والمتأملون مقابل الرسميين " ^١ ، بهذا الفكر أصبح اللاهوت أمراً نظرياً بحتاً ، فمن
استطاع أن استخدم المنطق، ومعرفة النصوص بدقة استطاع أن يكون لاهوتياً حتى وإن
كان خاطئاً أو من غير المؤمنين ، وبذلك بعدد عامة الشعب عن اللاهوت والعقيدة
واعتبروهما أمراً لا يتفهمونه ، بل فقط يجب الخضوع له والدفاع عنه .

لكن اللاهوت والعقيدة بالصورة الصحيحة ليسو نصوصاً نظرية أو أدبية ، بل
أن اللاهوت والعقيدة هو الطريق للاتحاد بالله فهو الحياة الروحية بعينها " غاية
إيمانكم خلاص النفوس " (١ بط ١ : ٩) ، فليس في المسيحية عقيدة دون معنى روحي
، أو أن هناك عقيدة غير معاشة عملياً .

٢- روحانية تربط الإيمان بالحياة العملية :-

الحياة الروحية حياة كاملة وليست جزء من حياة ، تظهر فيها الفضائل
المسيحية وتحققها " فليضي نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة

1 - Lossky ,The Mystical Theology of the Eastern church ,London 1957.p. 8 .

وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (مت ٥ : ١٦) وليس فقط علاقة النفس الداخلية بالله ، نعيش في العالم ولا نعيش فينا العالم ، الروح تسكن الجسد ، نظرة مقدسة للعالم ، سلوكنا في العالم معضد بقوة يمنحها لنا الله ، نستخدمها كسلاح نحارب به قوات الشر فننتصر ، فالنصرة عمل النعمة وجهادنا ، يقول معلمنا القديس يعقوب الرسول " تَرَوْنَ إِذَا أَنَّهُ بِالْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ، لَا بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ " (يع ٢ : ٢٤) ، " لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بَدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا بَدُونَ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ " (يع ٢ : ٢٦)

علم الفلسفة الأخلاقية واللاهوت الأدبي ، كلاهما يشجعان على الفضيلة ويعملان لخير البشرية ، لكن من الفروق بينهما أن الفلسفة الأخلاقية من نتاج العقل البشري وحده ، بينما اللاهوت الأدبي يعتمد على الشريعة الكتابية فمصدره هو الله الذي وحده له الكمال الأدبي ، كما أن الفلسفة الأخلاقية تقف عند حد تقديم النصيحة ، بينما اللاهوت الأدبي معضد بقوة الله الذي قال " أَحْسَنْتَ الرَّؤْيِيَةَ لِأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لِأَجْرِيهَا " (ار ١ : ١٢) ، فالإيمان الحقيقي يعطى روحانية عملية تظهر في تصرفاتنا وأعمالنا " لِأَنَّ فِيهِ مُعْلَنٌ بَرُّ اللَّهِ بِإِيمَانٍ لِإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالْإِيمَانِ يَحْيَا» " (رو ١ : ١٧)

القديس أغناطيوس الأنطاكي يقدم نصائح عملية للرعاة إذ يقول لهم :-

- + خير للإنسان أن يصمت ويكون مسيحياً، من أن يتكلم ولا يكون، جميل أن يعلم الإنسان والأجمل أن يفعل ما يعلمه (أفسس ١٥)
- + أفسحوا لهم (للمخدومين) المجال أن يتتقوا في مدرسة أعمالكم (أفسس ١٠) .
- + الشجرة تعرف من ثمرها " كما يعرف من يتكلم عن الإيمان من أعماله (أفسس ١٤) .
- + هناك أناس يتلفظون باسم الله رياء وخداعاً، ويقومون بأعمال لا ترضيه، يجب أن تبتعدوا عن هؤلاء كابتنادكم عن الوحوش المفترسة (أفسس ٧ : ١) .

٣- روحانية الشركة :- المحبة لا تطلب ما لنفسها

" لجميع معاً بنفس واحدة "، فمن الخطأ أن نعتبر أن الروحانية هي انحصار في الذات ، أو أنها تقف عند حد ما جاء في بستان الرهبان والفيلوكاليا من نسكيات وتدريبات روحية تقف عند حد الممارسة فقط ، بهذا الشكل تكون الروحانية بعيدة عن الروحانية الأرثوذكسية لأنها فردية ناقصة .

الروحانية الأرثوذكسية اختبار ديناميكي ، اتحاد النفس البشرية في نعمة وعطية الروح القدس ، فيحيا الشخص متمتعاً بوسائط النعمة ، ممثلاً من الروح القدس ويعيش في شركة مع العالم من خلال شركتهم مع الله (١كو ٧ : ١٣-١٠ ، ٢٩ : ٢٠ ، ٢كو ٥ : ١١) ، فالروح الذي نأخذ مواهبه لا يجعلنا أفراداً مسيحيين بل أعضاء في

جسد المسيح الواحد . القديس بوليكاربوس اسقف ازмир يقدم نصائح لاهل فليبي أن يهتموا بخلاص كل نفس ولا سيما فالنس وزوجته اللذين سقطا ويقول " أنى أحزن من أجله ومن أجل زوجته ، أرجو لهما أن يتوبا توبة قوية صادقة فيغفر لهما اللهكونوا ودعاء ولا تحسبوها أعداء بل حاولوا إعادتهما كعضوين مريضين ضالين ، فتخلصوا كل أجسادكم لأنكم إذا فعلتم ذلك تبون نفوسكم " (١١) .

٤- روحانية جهاد :-

في حياة الإنسان الروحية يعيش حياة جهاد ، ولا سيما للمبتدئين الذي لم تسُد أرواحهم بعد على أجسادهم ، سلوكهم جسداني كما يقول معلمنا بولس الرسول "وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلّمكم كرُوحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح" (١كو ٣ : ١) الحياة الروحية ثورة داخلية جادة ضد دواخلنا حتى نتطهر خوارجنا ، الداخل هو القلب الذي ينعكس عنه مخارج الحياة "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (ام ٤ : ٢٣) ، " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأون لأنكم تتقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوان اختطافا ودعارة ! أيها الفريسي الأعشى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً " (مت ٢٣ : ٢٥ ، ٢٦) ثورة لكي نستطيع أن ننال من نعمة الخلاص من الفساد " لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله " (رو ٨ : ٢١) ، ثورة ضد الإنسان العتيق " إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله " (كو ٣ : ٩) ، فنحن نعلم أن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه " (مت ١١ : ١٢) ، فالاعتصاب دائماً يحتاج إلى ثورة .

هذه الثورة الداخلية التي قال عنها السيد المسيح " جئت لألقي ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت؟ " (لو ١٢ : ٤٩) ، الإنسان يملك طاقة غضبية ، وهذه الطاقة جزء من طبيعته التي خلقه الله عليها ، وهي ليست بشريعة لو استخدمت في الهدف التي خلقها الله لأجله ، ولو كانت شريرة لما قال عنها " ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. " (تك ١ : ٣١) ، فالنفس الإنسانية مخلوقة بثلاث قوى هي :-

- ١- طاقة المعرفة : وهي الطاقة الذهنية وهدفها الاساسى معرفة الله .
 - ٢- طاقة الرغبة : وهدفها الاساسى الاشتياق إلى الله .
 - ٣- طاقة الغيرة : للجهاد والمقاومة ، وصد الغواية ^٢ ، فالمفروض أن نستخدم طاقتنا الغضبية ضد غواية أهوائنا وأفكارنا وهذا ما قصده الله من خلقتها .
- جهاد ضد ذواتنا ، اكبر معطل فى طريق خلاصنا هي الذات ، لذا خصها السيد المسيح بقوله " إن أراد أحد أن يأتي ورأى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني "

(مت ١٦ : ٢٤) ، فالإنسانية الساقطة " الإنسان العتيق الذي بداخلنا ، يقوم بدور الله ، يدين ، يتعالى على الآخرين ، يحاول أن يحقق ذاته ، متناسياً قول معلمنا بولس الرسول " فَمَنْ هُوَ بُولُسُ وَمَنْ هُوَ أَبْلُوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بَوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أُعْطِيَ الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبْلُوسُ سَقَى لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يُنْمِي " (١كو ٣ : ٥ ، ٦)

٥- روحانية رجاء" لا تقطع رجاء احد

يقول القمص بيشوى كامل ، في بدء خدمتي في الكهنوت جاني رجل شيخ لا أعرفه وطلب مني أن يعترف. وفي خجل شديد همس قائلاً: "إني لأول مرة أسقط في خطية الزنا". في بساطة ظننته أنه يشكو من نظرة خاطئة هذه التي نحسبها أيضاً زنا... فقال لي إني لست اقصد النظرة. تحدثت معه على أنها لمسة خاطئة، لكنه عاد ليؤكد أنه ارتكب الخطية فعلاً... لم أكن في ذلك الوقت أتصور إنساناً ما يرتكب هذه الخطية... في مرارة ذهبت إلى أبينا المتنيح القمص إبراهيم ميخائيل وأنا منكسر النفس جداً... رويت له ما حدث دون ذكر للاسم، خاصة وأن أبانا من القاهرة لا من الإسكندرية. إذ رأني مرتبكاً للغاية هدأ من روعي قائلاً: - أتعرف لماذا أرسل لك الله هذا الشيخ الساقط؟- لست أعلم!- يريد أن يعطيك في بدء خدمتك الكهنوتية عدة دروس، منها:الدرس الأول: لا تأمن جسدك حتى إن بلغت الشيخوخة أو كنت كاهناً! كن حريصاً وحذراً!الدرس الثاني: لا تقسو على شاب ساقط، فإن الخطية خاطئة جداً، وقتلاها أقوىاء حتى من الشيوخ... ترفق بهم لكي تسندهم ضد الخطية. لست أقول تتهاون مع خطاياهم، لكن لا تحطم حتى الساقطين، أقمهم بالرجاء الحيّ.